علاقة الجسد بالسلطة في رواية" عشت مع الذئاب"

د. شيراز بلعبرية
المعهد العالي للغات بتونس، جامعة قرطاج، الجمهورية التونسيّة

تاريخ الاستلام: 2024-04-30 **تاريخ القبول:**2024-06-11

الملخص: تعدّ العلاقة بين الجسد والسلطة من أهمّ المداخل التي انطلق منها ميشيل فوكو في تحليل الجسد وتفكيكه، وكان ذلك من منظور مختلف اعتمد على التوظيف السياسي للجسد فارتبطت رؤيته، تبعا لذلك، بآليّات القمع والتعذيب. وإنّ هذه الرؤية الجديدة أقحمت الجسد في الخطاب السياسي ووثّقت صلته بالسلطة. وقد عملت الرواية السياسيّة في اعتقادنا، على بلورة هذه العلاقة الجدليّة بين السلطة والجسد، إذ نقلت في كثير من الأحيان أشكال العنف الذي تمارسه السلطة السياسيّة ضدّ معارضيها في محاولة منها لردعهم وضمان استقرارها واستمراريّتها. ليشكّل القمع، تبعا لذلك، تيمة أساسيّة في هذا النمط من الروايات. وقد اخترنا رواية " **عشت مع الذئاب**" للكاتب التونسيّ المنجي الحدّادي أنموذجا لمقاربة هذه العلاقة الملتبسة، وقد تناول موضوع القمع السياسي في فترتي حكم الرئيسين السابقين للبلاد التونسيّة الحبيب بورقيبة و زين العابدين بن علي. وقد أثارت هذه الرواية جملة من الإشكاليّات من أبرزها؛ كيف تُحوّل السلطة الجسد أداة لقمع المعارضين لها؟ وكيف تعمل على تطويعه وترويضه؟ وإنّنا سنعمل في هذا البحث على الإجابة عن هذه التساؤلات الإشكاليّة.

الكلمات المفتاحية: الجسد/ السياسة/ السلطة/الرواية/ القمع

Abstract: The relationship between the body and political authority is a central idea of Michelle Foucault's analysis of the body. From his perspective, this relationship relies on the political employment of the body, linking it to mechanisms of repression and torture. This new vision introduces a new understanding of the body as a site of power, inserting it into political discourse and revealing its connection to authority. The political narrative has contributed to the crystallization of this controversial relationship, it has often conveyed the forms of violence practiced by the political authority against its opponents who reject its laws in an attempt to deter them and ensure its stability and continuity, accordingly, repression constitutes a basic feature in this type of narrative.

In the present paper, we intend to use the novel entitled «I Lived with Wolves » of the Tunisian writer Monji Haddadi as a model for approaching this ambiguous relationship between body and political authority. He addressed the issue of political repression during the terms of the former presidents of Tunisia, Habib Bourguiba and Zain El Abedeen Ben Ali.

The novel raises important problematic issues, most notably how power transforms the body to an instrument of oppression which presents the core focus of this work. In this research, we will work to answer these problematic questions.

Key words: Body, Politics, Authority, Novel, Oppression

لئن حاولت الفلسفة الحديثة رد الاعتبار للجسد فإن فلسفة ميشال فوكو تعدّ من أهمّ الفلسفات المناصرة للجسد في القرن العشرين. وقد استند في فلسفته هذه، إلى الإرث النيتشوي معتبرا أنّه لا " وجود للإنسان دون وجود جسدي"، إلّا أنّه تناول مفهوم الجسد من منظور مغاير، إذ ارتبطت رؤيته بآليّات القمع والتعذيب وذلك انطلاقا من علاقة الجسد بالسلطة أو من خلال التوظيف السياسي للجسد، فبات الجسد عتبة مهمّة من عتبات العقل وتحوّل، بناء على ذلك، إلى أداة ضغط على الفكر فكأنّه في التنكيل بالجسد تنكيل بالفكر، وأنّ اعتقال الجسد اعتقال للفكر بالضرورة. لذلك لا يمكن الفصل بين الطرفين، فلا وجود للجسد في غياب الفكر ولا وجود للفكر خارج أسوار الجسد. وقد آثرنا مقاربة هذه العلاقة بين الجسد والسلطة من ناحية والجسد والفكر من ناحية أخرى من خلال رواية " **عشت مع الذئاب**" للكاتب التونسيّ المنجي الحدّادي. وتسرد الرواية وقائع شكري العيّادي في سجون الاعتقال، وهو ذاك الشاب الشيوعي المعارض لنظام بورقيبة، الذي فرّ إلى فرنسا هربًا من العقاب ولكنّه أُجبر على العودة إلى تونس في فترة حكم الرئيس زين العابدين بن علي بعد أن قامت السلطة السياسيّة بابتزازه عبر التنكيل بوالديه ممّا أدّى إلى وفاة والده تحت التعذيب. فتنطلق رحلة جسده مع السجن، منذ وصوله إلى المطار، وقد تفنّنت السلطة في التنكيل به وبحبيبته زينب طالبة الحقوق والقياديّة باتحاد طلبة تونس، وكذلك رفيقه كمال الحمروني، بشتّى الطرق.

إشكاليّات البحث :

يثير هذا البحث جملة من الإشكاليّات أهمّها:

- كيف يكون الجسد أداة للضغط والسيطرة؟
- وكيف تستثمر السلطة الجسد لقمع المعارضين لها؟ وكيف تعمل على تطويعه وترويضه؟

وقبل الإجابة عن جملة هذه التساؤلات أو الإشكاليّات رأينا أن نبدأ بالبحث عن حدود العلاقة الواصلة الفاصلة بين الجسد والسلطة.

1- الجسد والسلطة: أيّ علاقة؟

عربيه وغير ممحنه وذلك نظرا إلى انهما ينتميان إلى مجالين مختلفين أو متباعدين لا يلتقيان، ولكن كان لحفريّات ميشال فوكو الفضل في تقليص الفجوة بين المجالين وتأكيد الصلة المتينة بينهما فلا يمكن للسلطة أن تتشكّل خارج إطار الجسد. وقد أدّت هذه الحفريّات إلى إخراج الجسد تدريجيّا من"الثنائيّات التقليديّة في الفلسفة الغربيّة من قبيل الجسد/ الروح، والجسد/ النفس، الجسد/ الفكر. وهي ثنائيّات حطّت من قيمة الجسد لتعلي في المقابل من قيمة الروح والنفس والفكر. ولكنّ فوكو أحدث ثنائيّة جديدة لم نألفها في البحوث الفلسفيّة السابقة له، وهي ثنائيّة الجسد/ السلطة، وقد تناول من خلالها الجسد في علاقته بالسلطة، أي إضاءة البعد السياسي للجسد "(بلعبرية، 2023، 110ص) وإنّ هذه الرؤية الخاصّة للجسد مستلهمة من فلسفة نيتشه التي أعادت الاعتبار للجسد حيث اعتبر نيتشه الجسد المحدّد الأساسيّ لهويّة الإنسان مقوّضا بذلك الكوجيتو الديكارتي، ونتبيّن ذلك في قوله:" جسد أنا بكلّي وكليّتي ولا شيء غير ذلك، وليست الروح سوى كلمة لتسمية شيء مّا في الجسد."(نيتشه،2007، ص 75).

وعرّف ميشال فوكو السلطة بأنّها "علاقات القوّة الملازمة للمجال الذي تمارس فيه وتساعد في تنظيم السلطة مجالا" (122/123, 1976,Foucaul)فهي، بناء على ذلك، من "الوظائف الأساسيّة للتنظيم الاجتماعي للمجتمع، فهو القوّة الآمرة التي في حوزتها الإمكانيّة الفعليّة لتسيير أنشطة الناس بتنسيق المصالح المتعارضة للأفراد أو الجماعات وبإلحاق تلك المصالح بإدارة واحدة عن طريق الإقناع أو القسر." (dictionnaire philosophique, 1985, 409) وهذا يعني أنّ السلطة تلجأ إلى القوّة لفرض سيطرتها فكان الجسد أوّل آليّاتها لضمان هيمنتها. و أشار دافيد لوبريطون إلى هذه العلاقة في قوله بأنّ "كلّ سيادة لا بدّ أن تفرض نفسها بالعنف والإكراه الجسديّ، بمعنى أنّ كلّ نظام سياسيّ يوازيه نظام جسديّ."(لوبريتون ،2014، ص 149)

وقد حاولت الرواية الغربيّة منها والعربيّة على السواء ترجمة هذه العلاقة بين السلطة والأفراد من زوايا مختلفة. ولعلّ اهتمام

الرواية العربيّة بموضوع السجن مردّه الواقع السياسي المتردّي في البلدان العربيّة، الذي يفتقد غالبًا إلى الديمقراطيّة والحريّة. فشكّل هذا الواقع المصدر الأساسي الذي يستمدّ منه الكاتب العربي مواضيع رواياته ومنها تتأسّس العلاقة بين الأدب/الرواية والسياسة وهي "علاقة جدليّة ومتواصلة، طالما وجد الأديب نفسه داخل مجتمع معيّن، يعبّر من خلاله عن دوره وحقوقه ومكانته، ويبحث بشكل دائب ومستمرّ عن حريّته وإنسانيّته."(عبد العظيم، 1998، ص30)

وإنّ المتأمّل في رواية **عشت مع الذئاب** يدرك إمكانيّة تصنيفها ضمن الرواية السياسيّة وأدب السجون في آن؛ وذلك لأنّها تنقل وقائع حقيقيّة لمرحلة محدّدة من تاريخ تونس وتحديدا في الفترة الواقعة بين حكمي كلّ من بورقيبة وزين العابدين بن علي من ناحية، ونقلها لمواقف السارد من السلطة السياسيّة ومواجهته لها من ناحية أخرى. فهي رواية سياسية لأنّها قامت على "رصد جدلية الصراع بين الحاكم والمحكوم والعامل مع أرباب وسائل الإنتاج، واستجلاء الفكر النقابي والنضال السياسي وما يتبعهما من اعتقال وقمع وقهر وحبس للمواطنين والمناضلين في الزنازن وسجون التعذيب والتطهير"(حمداوي، 2023، https://www.diwanalarab.com) ولذلك تهيمن الأفكار السياسيّة على هذا النمط من الروايات فنجد الكاتب يضمّن نصّه موقفه من السلطة ونقده للواقع السياسي والتنديد بالاستبداد سواء أكان ذلك بشكل ضمنيّ أم بشكل صريح ومباشر على غرار الرواية المدروسة.

ولذلك "يضطر الروائي في هذا النوع من الروايات إلى اختلاق شخصيات متصارعة وتهيئ برامج سردية ذات مواقف متطاحنة خدمة منه للأفكار والولاءات السياسية آو الإيديولوجية للقارئ"(حمداوي، 2023، https://www.diwanalarab.com). وقد اختار الحدّادي لروايته ثلاث شخصيّات متمرّدة تنتمي إلى حزب معارض لتدخل في صراع مع السلطة غير مأمونة عواقبه، رغبة منها في تغيير الوضع السياسي أو الواقع السياسيّ الذي يفتقد حسب رأيها إلى الحريّة والديمقراطيّة.

وهي رواية تنتمي إلى أدب السجون لأنّ جزءًا مهمًّا من أحداثها وقع في السجن، فيروي السارد ما عاناه وما عاينه هناك؛ لذلك فإنّ ما قامت به الرواية هو تصوير ما كان يجري في السجون وأقبية الداخليّة فضلا عمّا كان يلقاه المعتقلون من تعذيب وانتهاكات.

وبناء على هذه الخصوصيّة التي ميّزت الرواية، فإنّها تتناول بامتياز علاقة السلطة بالجسد. وهي علاقة موغلة في القدم. وقد شكّل الجسد، في هذه العلاقة، الغاية القصوى للسلطة وأداتها المثلى في آن. أمّا في الرواية المدروسة فإنّنا نستشفّ أوّل مظهر من مظاهر هذه العلاقة انطلاقا من عتبتين مهمّتين وهما العنوان والمقدّمة. أمّا العنوان فقد اختزل تلك العلاقة العموديّة وغير المتكافئة بين الجسد والسلطة أو علاقة الضحيّة بجلّادها. **عشت مع الذئاب:** أوّل ما يلفت الانتباه في هذا العنوان أنّ الفعل جاء في صيغة الماضي وذلك للدلالة على الحدوث والانقضاء. وفي ذلك إشارة أيضًا إلى أنّ السرد سيقوم على تقنية الومضة الورائيّة (flash–back) وأنّ السارد(شكري العيّادي) سيتكفّل بسرد قصّته بنفسه، وأنّ السرد سيكون تبعا لذلك، بضمير المتكلّم وارتداديّا بالضرورة.

أمّا اللفظة الثانية في العنوان فتشير إلى مُنافس السارد/ المتكلّم مثلما تشير إلى الوضعيّة الصعبة التي وجد نفسه فيها. وما نلاحظه في هذا العنوان أيضًا، أنّ لفظة "الذئاب" وردت في صيغة الجمع، وفي ذلك تلميح بأنّ أعداء السارد كثر وهم جماعة بورقيبة تلتها جماعة بن علي ثمّ الجماعات الجهاديّة، بينما السارد مفرد. وفي هذا التناقض إعلان مسبق بشراسة المعركة واختلاف موازين القوى؛ ولذلك يخوض السارد منذ العتبة الأولى حربًا خاسرة مع أرباب السلطة الغاشمة.

وقد يثير هذا العنوان جملة من التساؤلات التي يمكن أن تتبادر إلى ذهن القارئ من قبيل التساؤل عن طبيعة هذه الحياة التي عاشها الكاتب / السارد ولماذا اقترنت بالذئاب. ومن يقصد بالذئاب؟ وهل هي ذئاب حيوانيّة أم هي بشريّة؟ ولماذا اختار الكاتب الذئب دون غيره من الحيوانات؟ وإنّ هذه

النصّ ودلالاته؛ ولذلك فإنّ هذه العتبة أو هذه العلاقة بين الجسد والسلطة يحيلان القارئ إلى المقولة الشهيرة للفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز " الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، والكل في حرب ضد الكل، والواحد في حرب ضد المجموعة".

فلا شيء يُربك السلطة أكثر من تحرّر الجسد والفكر. وقد تصبح السلطة بدورها جسدًا في الوقت ذاته، وإن كان هذا الجسد أكثر قوّة وسطوة من الجسد المعتقل أو المعارض. فيجد القارئ وفق ذلك، نفسه إزاء جسدين: جسد قويّ ومُهيمِن وجسد ضعيف مُهيمَن عليه. وانطلاقًا من هذا التفاوت واختلاف موازين القوى يسيطر جسد السلطة على جسد المعتقل متوسّلا بكلّ الأدوات والوسائل المتاحة لتطويعه وتشكيله وفق ما تقتضيه مصالحه. وغالبا ما "يطال الاعتقال وممارسة فنون التعذيب خصوصا تلك الفئة من الناس التي تشكّل العقبة أمام سطوة الطغيان والاستبداد. وهو يهدف إلى إزالة هذه العقبة وتدمير الطاقات الحيّة الجسديّة والنفسيّة في هذا الكيان." (حجازي، 2005، ص 127–128) فيكون العنف والتعذيب الأداة المثلى لتدمير المعارضين. وقد ورد في الرواية ما يوضّح هذه العلاقة بين جسد السلطة وجسد المعتقل: "بالحديد والنار تساق الشعوب إلى بيت الطاعة، أمّا الفئة الضالّة فلا مكان لها إلّا السجون أو المنافي."(الحدادي، 2021، 87) وبهذا الشكل ينخرط الجسد وفق فوكو" داخل آليّة السلطة التي تفتّشه وتفكّكه وتعيد تركيبه " (Foucault,1975,p 159) لضمان انصياعه وانضباطه .

شكّل العنوان إذن، همزة وصل بين أطراف ثلاثة هي المؤلّف والقارئ والنصّ، ويمكننا أن نشير في هذا السياق، إلى وظائف العنوان التي كان (ليو هويك) (Léo Hoek) قد ضبطها بقوله بأنّ العنوان "هو جملة من العلامات اللغويّة [...] التي يمكن أن تقع على رأس النصّ لتعيينه والإشارة إلى مضمونه العامّ ولإغراء الجمهور." (Hoek,1981,p 17) فهو العتبة التي تمهّد السبيل للقارئ حتّى يتمكّن من فتح مغاليق النصّ وفكّ شفراته، فيصدم القارئ بـــ" مشاهد سوداء مرعبة قاتمة من القمع والقهر، تتجلّى في المطاردة والاعتقال والتعذيب الجسدي والنفسي، في عتامة أفقيّة للسجون والمعتقلات."(أبو عوف، 1999، ص7) وهي مشاهد تعكس طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وما تتوفّر عليه السلطة من آليّات لقمع معارضيها والخارجين عن قوانينها. ويمكن أن نتبيّن عبر هذه الوظائف التي أنيطت بالعنوان بأنّ هذه العتبة أو غيرها من العتبات مرتبطة بقصديّة المؤلّف والنصّ معًا.

أمّا المقدّمة فقد جاءت مفسّرة للعنوان لينتقل الكاتب من الإجمال إلى التفصيل. وتعدّ المقدّمة "صنفًا من الملفوظ [الذي] يخاطب فيه شخص ما شخصًا آخر، وينظم ما يتلفّظ به في مقولة من الضمائر"(Mitterrand, 1986, P 21). فما نلاحظه في هذه المقدّمة أنّها جمعت بين ضمير المتكلّم وضمير المخاطب الجمع وضمير الغائب الجمع. فبدا ضمير المتكلّم المفرد واقعا بين الضميرين الآخرين ليصل الكاتب بذلك بين فترتين سياسيّتين فيوجّه خطابه إلى "هم" في إشارة منه إلى أصحاب السلطة في العهد السابق(نظام بورقيبة) أمّا ضمير " أنتم" فيخاطب به أرباب النظام السياسي زمن كتابة الرواية؛ أي في عهد زين العابدين بن علي. ويمكن أن نورد هذا المقطع من المقدّمة لنتبيّن طبيعة هذا الخطاب: "حين تتصفّحون هذا الكتاب تذكّروا جيّدا أنّ كلّ مسافة فيه جرح عشت آلامه وحرارة وجعه... وأنّ كلّ كلمة دفعتها في هذا الكتاب هي اختصار لعمر طويل مشيتُ فيه على الحريق... وما تركوني أبدا أستعيد أنفاسي اللاهثة...وأنّ عواءكم الذي لاحقني في يقظتي ومنامي ما كفّ عنّي أبدًا... تركني في حالة زحف دائمة فوق غابات من الأشواك بلا نهاية... فوق جمر مطحون... فوق مسامير مدبّبة ... وأنا أهرب... لذلك أحبّ أن أسأل كلّ الذئاب التي دفعتني إلى هذا المستنقع وأنا بلا حيلة... ثمّ اغتصبوا حياتي وحطّموا أحلامي ورموا بي في قلب الجحيم...نهشوا لحمي وشربوا من دمي...وحرّكوا الأرض من تحت أقدامي فعاشرت الزلازل وسكنت في دوائر بلا نهاية...وكانت سببًا في كلّ هذه الندوب التي سكنت روحي... أريد أن أسأل.. !

هل كنتم تقصدون ذلك حقّا.. !؟"

نهضت المقدّمة التي وردت على هيئة رسالة عنونها

بـ "**رسالة قد يقرؤها الذئاب في هذه الأمّة**"، بتوجيه أصابع الاتّهام بشكل مباشر ومعلن إلى أرباب السلطة وتحميلهم مسؤوليّة ما تعرّض له السارد من قمع وتعذيب وتنكيل. وقد قامت هذه الرسالة على جملة من الأسئلة الإنكاريّة التي تختزل فظاعة ما كان يحدث في السجون من مشاهد مروّعة تنتهك حريّة الإنسان وحرمته. وبناء على هذه الخصوصيّة، يمكننا القول بأنّ المقدّمة / الرسالة استطاعت تبديد غموض العنوان، إذ جاءت مفسّرة أو مبرّرة له من جهة، ومبيّنة أسباب تأليف هذه الرواية من جهة أخرى. مثلما شكّلت هذه المقدّمة إطاراً تمهيديًّا اختزل مضامين الرواية وأهمّ الأحداث التي وزّعها الكاتب على فصول الرواية السبعة التي وردت دون عنونة في إشارة منه إلى العبث الذي ميّز حياة الشخصيّة الرئيسة شكري العيّادي، والفراغ الذي كانت تعيشه فضلا عن المصير الغائم والمجهول الذي ينتظرها. ويمكننا اعتبار هذه المقدّمة إشارة إلى أهمّ المراحل المفصليّة في حياة الشخصيّة؛ ولذلك فإنّ المقدّمة، من هذا المنطلق، هي"العتبة (seuil) التي تحملنا إلى فضاء المتن المركزيّ الذي تستقيم قراءتنا له بالاطلاع عليها، وأخذها بعين الاعتبار، إنّها وعاء معرفيّ وإيديولوجيّ تختزن رؤية المؤلّف وموقفه من العالم"(أشهبون، 2004، ص87-115)؛ ولذلك بإمكاننا تبيّن بعض جوانب موقف كاتب الرواية من خلال المتن الذي سيرد مفصّلا لهذا الموقف من السلطة ومحدّدا لرؤيته الإيديولوجية للوضع السياسيّ في البلاد الذي بدا غائم الملامح.

وما يمكن ملاحظته في هذه المقدّمة أيضاً أنّ الكاتب لم يتوجّه فيها بالخطاب إلى القارئ بشكل عامّ على نحو ما عهدناه في الكثير من المقدمات التي تخللت العديد من الروايات العربيّة الأخرى، وإنّما خصّص خطابه إلى فئة بعينها وهي فئة الساسة وأرباب السلطة. وقد كشف الكاتب في هذه الرسالة أو هذا الخطاب المقدّماتي عن خلفيّة نصّه وأسباب تأليف الرواية، وهو فضح ممارسات السلطة السياسيّة القمعيّة في ظلّ غياب الحريّة والديمقراطيّة. وهي ممارسات مدمّرة للجسد والذات البشريّة ومنتهكة لحقوقها؛ ولذلك فإنّ هذه العتبة النصيّة تضمّنت إدانة صريحة ومباشرة لهؤلاء مثلما نهضت بوظيفة توجيهيّة. وبناء على ذلك، يمكننا اعتبار هذا الخطاب من المداخل التي " تهيّء القارئ وتقدّم له شيئا، عليه أن يتسلّح به قبل قراءة النصّ، ففي هذا التقديم هناك حثّ على القراءة ودفاع عن المقروء..."(حليفي، 2005، ص 51)

ويمكن أن تدمج المقدمة "في نطاق أنواع النصوص الافتتاحيّة (ذاتيّة كانت أم غيريّة) التي تهدف إلى إنتاج خطاب على مشارف النصّ الذي تسبقه"(أشهبون، 2009، ص59)، خطاب يحدّد مسبقا مضامين الرواية وإشكاليّاتها الكبرى مبدّدا بذلك غموض العنوان فيتسنّى للقارئ الإمساك بطرف الخيط الناظم للحكاية باكتشافه بعض ملامح السلطة القمعيّة التي تتفنّن في تعذيب معارضيها.

2- آليّات قمع الجسد وعقابه

لئن شكّل "الجسد بالنسبة إلى السلطة السياسية الهدف بامتياز"(Chebili, 2009,p 63-64) فإنّها تسعى إلى تعذيب هذا الجسد لتبلغ الفكر أو الأفكار. يقول السارد في هذا السياق:"أنا أفكّر والسلطة تتحسّس مسدّسها.(الحدادي، 2021، ص75) وكأنّنا بالجسد هو ذاك الخيط الرفيع الذي يقود السلطة إلى دهاليز عقل المتمرّدين عليها والرافضين لنظامها فتكشف مخطّطاتهم. وبناء على ذلك، تقوم بتعذيبهم والتنكيل بهم وبأفكارهم المتمرّدة "فالجلّاد وهو يمارس هذه المعاملة السيئة التي ليس لها من حدود غير خياله يسعى إلى إخضاع الشخص إلى قراره، وإكراهه على الإفشاء بمعلومات معيّنة، والاعتراف بذنبه، وخيانة التزاماته السياسية أو الأخلاقيّة أو تحطيم عدوّ ما."(لوبريطون، 2017، ص109) ولذلك فإنّ غاية السلطة من تدمير الجسد تدميرُ العقل أو التفكير لأنّ التفكير من وجهة نظرها، يُعدّ جريمة لابدّ أن يعاقب عليها مرتكبها مثلما فعلت مع كمال الحمروني الذي عذّبته ومن ثمّ قامت بتصفيته جسديّا لتتخلّص من أفكاره التي باتت تشكّل خطرا على استقرارها، ولكن رغم الموت فإنّ أفكاره ظلّت متغلغلة وحيّة لم تمت فهي أبقى من الجسد؛ لذلك فإنّ موت الجسد لا يعني موت الأفكار بالضرورة. يقول السارد متحدّثا عن ذلك:" كان الجثمان يتقدّم الثائرين. حتّى وهو مسجّى لا يمكن له أن يرحل قبل أن يقود تمرّدًا علنيًّا، إنّه الآن على رأس مظاهرة حقيقيّة،

كأنّي أسمعه الآن يردّد نشيده الثوريّ، ومن ورائه يعيد المشيّعون ما يقول، كان موته أقوى من سياطهم التي قتلته."(الحدادي، 2012، 113ص) ألفينا جسد السلطة إذن، يقف وجها لوجه أمام أجساد الضحايا العزّل إلّا من الصبر والتجلّد. تمارس عليها شتّى أنواع التعذيب. "والتعذيب ممارسة لعنف مطلق على شخص آخر عاجز عن الدفاع عن نفسه ومنصاع كليّة لمبادرة الجلّاد. إنّه النموذج العتيق للسلطة على مجتمع أو شخص(...) يهدف التعذيب إلى شحن الضحيّة بالألم بهمجيّة منهجيّة يكون حدّها الأوحد الجنون أو الموت"(لوبريطون، 2017، 109ص) وقد عبّر العيّادي عن هول التعذيب بقوله :"كنت أتوق إلى الخلاص مثلما حصل مع الرجل الذي تركته يرقد في تلك الغرفة بسلام... كان الموت هو الخلاص الوحيد المتبقي لي"(الحدادي، 2021، 147) تتأكد من هذه الشواهد والأقوال، النزعة القمعيّة للسلطة فتتنوّع آليّاتها العقابيّة لفرض هيمنتها على الأجساد المعتقلة وضمان خضوعها والامتثال لأوامرها فتستبدل القانون بـــ"آليّات سيطرة وتحكّم تهدف إلى ترويض الجماهير وصولا إلى إخضاعها"(حجازي، 2005، ص87) لذلك فإنّ الانضباط في المنظومة العقابيّة " يصنع أجسادا خاضعة وممرّنة، أجسادًا منصاعة" (Foucault,1975, P140) لا يمكنها التمرّد على السلطة أو مواجهتها.

ومن هذه الآليّات نذكر الفضاء السجنيّ والتعذيب.

أ- الفضاء أداة للعقاب

يكتسب الفضاء أهميّته في الرواية " بفضل بنيته الخاصّة والعلائق التي يقيمها مع الشخصيّات والأزمنة والرؤيات."(بحراوي، 1990، 20ص) فغالبا ما يتقاسم الجسد/ الشخصيّة التأثّر والتأثير مع الفضاء لكنّ الأمر بدا مختلفا في رواية **عشت مع الذئاب** حيث لم يكن الجسد فاعلا في هذه العلاقة وإنّما الفضاء هو المؤثّر الوحيد على حين ظلّ الجسد متقبّلا سلبيّا لخصائص الفضاء المغلق والضيّق، لاسيّما فضاء السجن. وبناء على هذه السلطة التي مُنحت للفضاء السجنيّ، فإنّه لم يعد جسد السجين هو من يخترق الفضاء وإنّما الفضاء هو الذي يخترقه ويستلب هويّته، وينتهك خصوصيّته وإنسانيّته، فيقوم بتشكيله وتطويعه وفق ما تقتضيه خصوصيّة هذا الفضاء؛ لذلك اعتُبر الفضاء السجنيّ فضاء للقمع والعقاب، فهو ليس " فضاء انتقال أو حركة، وإنّما هو بالتأكيد فضاء إقامة وثبات، وإن كان ذلك بصفة مؤقّتة، وفضلا عن ذلك فإنّ الإقامة في السجن خلافا لما سواها هي إقامة جبريّة"(بحراوي، 1990، ص66) ليمارس هذا الفضاء سلطته على الأجساد بوصفه فضاء لسلب الحريّة والقمع.

ولذلك، فإنّ السلطة تمارس بطشها على الجسد المعارض لها، وتضيّق عليه حريّاته فتلقي به في غياهب السجن، ليواصل هذا الفضاء المغلق الذي غالبا ما يفتقر إلى أدنى مقوّمات الحياة، عمليّة الضغط والإكراه ليجد الجسد نفسه تتجاذبه سلطتان، سلطة الدولة وسلطة الفضاء. و "إنّ المتأمّل في الفضاء السجنيّ، بوصفه عالما مفارقا لعالم الحريّة خارج الأسوار، قد شكّل مادّة خصبة للروائيّين في التحليل وإصدار الانطباعات التي تفيدنا في فهم الوظيفة الدلاليّة التي ينهض بها السجن كفضاء روائيّ معدّ لإقامة الشخصيّات، خلال فترة معلومة، إقامة جبريّة، غير اختياريّة"(بحراوي، 1990، 55). ولم يخرج المنجي الحدّادي عن هذا المسار ليشكّل الفضاء السجنيّ في روايته فضاء مركزيًّا يعرّي من خلاله غطرسة السلطة السياسيّة، ويكشف ممارساتها الوحشيّة منتهجة في ذلك جلّ أشكال التعذيب. ويشكّل السجن فضاء للإقامة الجبريّة يساق إليه السجين قسرًا. وتتعمّد السلطة أن يكون لهذا الفضاء خصائص مميّزة تساعدها على فرض هيمنتها وممارسة آليّاتها العقابيّة. وبناء على ذلك، لم يشكّل السجن في " **عشت مع الذئاب**" مجرّد حيّز ضيّق يسجن فيه السجناء، وإنّما هو فضاء مركزيّ احتضن أهمّ أحداث الرواية، ليختزل هذا الفضاء المعتّم والقذر جملة من الدلالات التي ارتبطت بمعاني الزجر والقمع والتعذيب؛ ولذلك شكّل السجن السياسيّ فضاء لقمع المتمرّدين على السلطة، وهو مختلف عن السجن العادي "الذي يُوضع فيه المجرمون الذين خرقوا القانون الاجتماعي وهدّدوا أمن الناس وحياتهم. إنّ سجن المجرمين مكان يضمن للمجتمع استمرار الأمن وسيادة الأعراف الاجتماعية، ومن ثمّ فهو مكان للإصلاح، في حين

يكون السجن السياسي مكانا للتليين والإخضاع وإعادة السياسيّين إلى حظيرة المعادلة: التسلّط- الرضوخ"(الفيصل، 1983، 34) ليصطبغ هذا الفضاء بطابع قمعيّ وزجريّ قاهر. وقد عمل الوصف الدقيق للفضاء السّجني وللأجساد المعذّبة، على تأكيد فظاعة ما كان يحدث داخل هذا الفضاء، إذ جاء في قول السارد: " أحدهم وضع إناء به ماء ذا رائحة كريهة تحت رأسي مباشرة، ثمّ وقع إنزالي برفق حتّى أخذ رأسي يقترب ببطء من الإناء، بعد أن ربطوا يدي وراء ظهري، لسعتني رائحة الماء الكريهة.."(الحدادي، 2021، 138-139) أو قوله:"كنت لا أزال أتفحّص وجوههم حين انتبهت إلى الحبال المعلّقة في الغرفة وبقع الدم تحتها، عرفت في حينها أنّني في إحدى غرف التعذيب."(الحدادي، 2021، ص135)

لقد شكّل الوصف، من هذا المنطلق، آليّة مهمّة لتقديم الجسد المعتقل والفضاء في آن. فحين يُوصف الفضاء تُوصف معه الأحوال النفسيّة والجسديّة للمعتقلين والأحداث بشكل دقيق. وقد يضطرّ السارد في أحيان كثيرة إلى الوصف الدقيق للإيهام بالواقعيّة من ناحية، وتصوير فظاعة ما يحدث داخل السجن. وتعكس خصائص الفضاء طبيعة العلاقة بين السلطة والجسد المعتقل، أي العلاقة بين منشئ هذا الفضاء السّجني والمقيمين فيه. ولئن" كانت حريّة الإنسان هي جوهر وجوده والقيمة الأساسيّة لحياته، فإنّ السجن هو استلاب لهذه الحريّة، وبالتالي فهو استلاب وإهدار للحياة."(التواتي، 1993، ص 88)

وللفضاء في الرواية، دور بارز في بناء الشخصيّة والتحكّم في الجسد. وانطلاقا من هذه العلاقة المفترضة بين الجسد والفضاء نتبيّن كيف تتلوّن صفات الجسد بصفات الفضاء، إذ يكتسب الجسد القسوة من قسوة الفضاء نفسه. و"إنّ السجن، بهذا المعنى، يكفّ عن كونه مكانا ذا أبعاد ومقاسات تميّز انغلاقه ومحدوديّته وسيتحوّل إلى فضاء مخصوص ينهض على أنقاض العالم الخارجيّ المألوف، ومن هنا مبعث تلك التغيّرات التي يفرضها السجن على سلوك نزلائه وعلى نمط حياتهم حين يخضعهم لقانونه الخاصّ"(حسن بحراوي، 1990، ص61)

وقد ورد القول الآتي للسارد واصفًا جسد الضابط في إشارة منه إلى الوضع البائس الذي ينتظره: "أمرنا أن نصطفّ في اتّجاه مكتب صغير يجلس خلفه رجل بدت ملامحه غريبة، كلّ شيء فيه يميل إلى الكثرة، جسمه الممتلئ، كثافة شاربه، أنفه كحفرة جرذ، يده الغليظة، صوته الخشن، يبدو أنّ هذا الرجل قد اختير عمدًا في هذه الوظيفة حتّى يعطي انطباعا للقادمين أنّ أيّامهم القادمة تشبه ملامحه، بدا لي أنّ ملامح الرجل إشارة ربّانيّة لأيام حافلة".(الحدادي، 2021، ص127) و ينهض الوصف، هنا، بدور فعّال في تصوير مراحل التعذيب ودفع سير الأحداث في آن، فينتقي السارد من الكلمات والأوصاف ما يخدم موضوع الرواية وهو ما يُبرّر في اعتقادنا هيمنة معجمي العذاب والموت ليبدو الوصف ذا علاقة بالدلالة" وهكذا نتبيّن أنّ كلّ وصف هو معطى من خلال عملية انتقاء، وهي عمليّة تخضع دومًا لطبيعة الدلالة التي يتغيّا الوصف خلقها أو تدعيمها"(محفوظ، 2009، ص32). مثلما لاحظنا إسهابًا لافتًا في وصف مشاهد التعذيب وأماكن الاعتقال.

ومن تأثيرات الفضاء على الجسد أنّه يعطّل علاقته بالزمن وبالعالم الخارجيّ؛ فهو لذلك لا يقلّ عنفًا عن السلطة في حدّ ذاتها. وقد جاء على لسان السارد القول الآتي مشيرًا إلى واقع السجون وما يلقاه السجين من تنكيل:"عليك أن تسبغ آدميتك بالمنزلة الحيوانيّة التي صرت عليها وتجهد نفسك حتّى تنزل للقاع أكثر حتّى لا يصاب عقلك بالتلف، عليك أن تدرّب نفسك على عدم التفكير، فقط امض إلى القاع السحيق دون تفكير أو فهم ما يجري حولك، عليك أن تنقذ عقلك من التلف، ما يهمّ هو أن لا تخرج من هذا المكان وقد صرت معتوها."(المنجي الحدادي،2021، ص133)

ما يلفت الانتباه في هذه الرواية أنّها اتخذت شكلًا التفافيًّا دائريًّا، إذ انطلق الجسد مطاردًا لينتهي به الأمر مطاردًا أيضًا حتّى بعد خروجه من السجن، ولكنّ هذه المرّة كان العدوّ مختلفًا عن الأوّل وهو ما نتبيّنه من خلال قول شكري العيّادي: " أيقنت أنّني لم أغادر دوائري التي لا تنتهي، فمن مطاردة إلى أخرى، بدا الأمر وكأنّه قدر محتوم لا مفرّ منه، فحتّى الحريّة التي ضحّيت بكلّ شيء من أجلها ارتدّت عليّ وعادت ذئاب أخرى

تطاردني."(الحدادي،2021، ص152) وقد دوّن السارد جملة مشابهة في المقدّمة بقوله:" عشت مطارداً في كلّ مكان وفقدت آدميّتي تحت نعالكم الكبيرة."(الحدادي، 2021، ص7) وهو ما ذهبنا إليه في تحليل العنوان حين بيّنا أنّ الضحيّة واحدة والجلّادين كثر ممّا جعل المعركة تبدو خاسرة منذ البداية. إنّ خروج الفرد عن نسق المجموعة وانشقاقه عنها لا يَنتُج عنه سوى الرفض لذلك تعمل المجموعة باختلاف انتماءاتها سواء أكانت سياسيّة أم دينيّة أم غيرها، بشتّى الطرق، على إعادته إلى نهجها، وبالتالي ضمان خضوعه وامتثاله لقوانينها وهو ما ينجرّ عنه ذلك الصراع الذي ميّز أجواء رواية " **عشت مع الذئاب**". فشكري العيّادي لم يستردّ حريّته بمجرّد خروجه من السجن وإنّما تحوّل الوطن والمدينة بدورهما إلى سجن كبير وفي ذلك إشارة إلى أنّ الواقع لا يقلّ قسوة وقمعاً عن السجن. وقد ساعد عدد الفصول على تبيّن نتائج المعركة؛ فالفصول سبعة وأشهر حمل زينب زوجة شكري كانت كذلك سبعة، إذ وضعت مولودها قبل الأوان، وكذلك هو حلم شكري العيادي وزينب ورفيقهما كمال الحمروني بالحريّة والكرامة وبوطنٍ يتّسع للجميع، لم يُكتب له الاكتمال وإنّما أجهضته السلطة ببطشها وجورها قبل أوانه. وقد عبّر قول شكري العيادي عن ذلك:" الوطن كلّ هذا... الوطن أمنية والأمنية لا تدرك، بل تعاش، ونحن لم نعش أمنية واحدة على هذه الأرض بل عشنا الفواجع والكوابيس واليتم، أيّ وطن هذا يملؤنا بالكوابيس والخوف والفقد"؟(الحدادي، 2021، ص94) فالشخصيّات المحوريّة الثلاث في الرواية تمرّدت وطالبت بالتغيير ولكن لم يتغير أيّ شيء سوى مصائرها التي ترددّت بين الموت والهرب والخوف بينما ظلّ الوضع السياسي للبلاد على حاله يفتقر إلى الحريّة والعدالة.

ب- التعذيب آليّة لتطويع الجسد

يعدّ التعذيب ركنًا أساسيًّا من أركان الرواية السياسية أو أدب السجون؛ إذ لا يمكن لأيّ سجين سياسيّ أن يقضي فترة حكمه دون أن يتعرّض إلى التعذيب بشقّيه الجسديّ والنفسيّ. وقد تفنّنت السلطة في تعذيب المعتقلين فأذاقتهم صنوفًا من العذاب الذي "تنجم عنه نتائج جسمانيّة من قبيل تراجع نسبة المقاومة والوهن والعجز الوظيفي والغثيان وفقدان الشهيّة والإدراك الخاطئ للخطاطة الجسديّة ... ونتائج سيكولوجية من قبيل فقدان الاهتمام بالعالم، ومصاعب في التركيز والإحساس باليأس والقلق الغامر"(لوبريطون، 2017، ص25). فقد كان للتعذيب تداعيات جسديّة جسيمة إلى جانب تداعياته النفسيّة التي تبلورت من خلال الأحلام، أو بالأحرى من خلال الكوابيس التي رافقت شكري العيّادي واستبدّت به طيلة فترة اعتقاله وبعد خروجه من السجن أيضا، ونجد ذلك واضحًا في الصفحات 79، 92، 93-111- 145. وقد استبدّت الكوابيس بشكري العيّادي بشكل لافت بعد أن بلغه قرار السلطة بتصفية زوجته زينب فانتابه شعور بالهلع والخوف، إذ كلّما خلد إلى النوم يعاوده الكابوس نفسه. ويمكن أن نورد هذا المقطع المجسّد للحالة النفسيّة لشكري العيّادي الناجمة عن تلك المداهمات الليليّة والمباغتة للبوليس السياسيّ والخطر الذي كان يتهدّده وزوجته وكلّ أفراد عائلته. يقول:" رميت بجسمي على الفراش محمّلا بثقل الجبال، وكان النوم ينتظرني على حافة جفوني، غبت غياب الميّتين. أرعبني طرق الباب المتتالي، لكن فجأة كُسر الباب، فاندفع البوليس نحو زينب وأفرغ أحدهم مسدّسه في بطنها، كنت أرى ابني قد انزلق من بطنها بعدما تدفّق الدم من كلّ جسمها، كان لا زال حيّا، داسه أحدهم على عنقه، لكنّه رفع قدمه بسرعة، فرأيته ينظر إليّ بعيون جاحظة. كنت جامداً في مكاني وقد هالني الموقف، لكنّي رأيت ابتسامة على وجه الجنين وقد أشرق ثغره، حفّزتني ابتسامته، وكأنّها ابتسامة خلاص، فاندفعت نحوه أصرخ بأعلى صوتي"(الحدادي، 2021، 92ص-93) "ما نلاحظه من هذا المقطع أنّ المشاهد التي تجسّدت عبر الكابوس لا تختلف عن مشاهد التعذيب المروّعة التي تعرّض لها السارد وزوجته زينب في السجن؛ لذلك فهو يعيش حالة مزدوجة من التعذيب في الواقع وفي الأحلام معًا. فكأنّ السلطة تستمدّ قوّتها من الخوف الذي تتعمّد تسريبه إلى المعارضين لفرض هيمنتها. وقد تكشف آليّات السلطة " عمّا يلحق بقيمة الإنسان وكرامته وكيانه خلال عمليّات التعذيب، عالية البرمجة والتخطيط وصولا إلى القضاء على كيان المعتقل جسديًّا أو معنويًّا

ونفسيًّا."(حجازي، 2005، ص 17) كشفت الكوابيس عن شعور الجسد المقموع والمعتقل بالخوف وبضيق السبل وضعف الحيلة أمام غطرسة السلطة الغاشمة؛ ولذلك فإنّ الاعتداء على كرامة المعتقل وإنسانيّته لا يقتصر على "فترة التعذيب والاعتقال، بل هو يتجاوزها إلى ما بعد إطلاق سراحه، من خلال الدمار الجسديّ والنفسي الذي يحدثه التعذيب".(حجازي، 2005، ص156–157)

لقد بدت الشخصيّات في الرواية، مستميتة في الدفاع عن قناعاتها ومواقفها فلا تأبه لما يلحق أجسادها من تنكيل وتعذيب؛ لذلك ألفيناها تنتهج الصمت غالبًا ولا تبوح بأسرارها رغم قسوة الجلّادين " وأشدّ ما يثير غضب الجلّاد هو تسلّح الضحيّة بالصمت الذي يعني إفلاتها من سطوته، وبالتالي فشل فنون تعذيبه في تحقيق هدفها؛ ولذلك يثور الجلّاد ويشتطّ كي يدفع الضحيّة إلى الصراخ الذي يدلّ على بداية انتصاره، صراخ الألم هو المدخل إلى الإقرار بالهزيمة والانكسار والاعتراف."(حجازي، 2005، ص 134) ولكن غالبا ما كانت الضحيّة في **(عشت مع الذئاب)** لا تستجيب لمطالب السلطة على غرار كمال الحمروني الذي رفض البوح بمكان زينب فتمّ تعذيبه إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة. وهو ما فعله شكري العيّادي حين جرى استنطاقه للاعتراف بمكان زينب التي قام بتهريبها إلى الجزائر ومن ثمّ إلى فرنسا فجرى تعذيبه أيضًا إلى أن أصيب بشلل نصفيّ. جاء على لسان الممرّضة مخاطبة شكري العيّادي بعد أن استفاق من غيبوبته:" لقد أصبت بنزيف في رأسك... وتعفنت ساقك ومعدتك... وحتّى أعضاؤك التناسليّة...لذلك أنت مصاب بشلل نصفي..."(الحدادي، 2021، ص 149)

ولذلك ألفينا السلطة تتفنّن في التنكيل بضحاياها فـ"بالإضافة إلى الضرب المبرح بالكلمات والسياط المختلفة والركل والدوس على الجسد بالأقدام، تُستَهدَف عادة، المناطق الأكثر إيلامًا وحساسيّة من مثل اقتلاع الأظافر والأسنان وتعذيب الأعضاء التناسليّة، والتفتيش عن موطن الضعف والمرض في الأعضاء لتركيز الضرب عليها."(حجازي، 2005، ص 132) يقول العيّادي: " كنت كمن يهذي من فرط الحرارة التي تملّكت جسدي، صار صوتي مسموعًا ولم أعد أدرك ما أقول، بدأت أقترب من نهايتي، تعفّنت جروح ساقي وبدأ لونها يميل إلى الزرقة، ولم أعد أشعر بها"(الحدادي، 2021، ص146).

ونتيجة لقسوة التعذيب والتنكيل بأجساد المعتقلين تصبح أقصى أمنيات الضحيّة الموت رغبة في التخلّص من قيود السلطة وبطشها. يقول السارد في هذا السياق:" غادر الجلّادون الغرفة بعدما رموا بالرجل على الأرض وهو عار وقد سال الدم من عينه حتّى وصل إلى مؤخّرته التي غطّتها الدّماء أيضًا، لم يصدر أيّة حركة، لا أعرف إن كان حصل على أمنيته بالموت أو أنّه مجرّد إغماء"(الحدادي،2021، ص141) وبذلك تسعى السلطة عبر التعذيب، إلى تشكيل الجسد وتطويعه ليتحوّل جسد المعتقل بناء على ذلك، إلى فضاء يختزل عنف السلطة السياسيّة. و"تترجم إرادة التطويع أيضًا باغتصاب الضحية أو أقاربه أمام عينيه، وبتعدّد الإهانات التي صارت ممكنة بالسلطة المفضوحة للجلاد وبالضغط على العائلة، والعزل أو الاكتظاظ تبعًا للظروف"(لوبريطون، 2017، ص113). وقد أشار السارد إلى المضايقات التي لقيتها عائلته من الداخليّة لإرغامه على العودة إلى الوطن. ويقول في هذا السياق:"أنا الذي أتعبتني الغربة وأتعبني شقاء أمّي وهي تتردّد على وزارة الداخليّة عقابًا لي على نشاطي النضاليّ"(الحدادي، 2021، ص11) أو قوله متحدّثا عن والده:"لا يمكن لهم التخلّص من هذا الصراع إلّا عبر إذلال والدي نكاية بي، كان ابتزازًا رخيصًا دفع فيه والدي حياته."(الحدادي، 2021، 12ص)

وحين تفشل السلطة في افتكاك الحقيقة من أفواه المعتقلين، وحين لا يجدي معهم أيّ نوع من أنواع التعذيب، فإنّها تضطرّ إلى تغيير استراتيجيّتها فتساوم الضحيّة: الحريّة مقابل المعلومات فتسعى بذلك إلى تحويل المعارضين إلى عملاء وجواسيس وهو ما نتبيّنه من قول الضابط مخاطبًا شكري العيادي: "سنتركك تكتب في جرائد المعارضة...على أن تنقل لنا تحرّكات المعارضة في الداخل والخارج...سنعتبر هذا عملًا وطنيًّا وسنكافئك عليه..."(الحدادي، 2021، ص28) فالغاية من التعذيب إذن، هي أوّلا انتزاع المعلومات، وثانيًا ضمان خضوع

الضحيّة. وما يمكن أن نستخلصه من كلّ ما سبق أنّ التعذيب يمرّ عبر مراحل ممنهجة، إذ ينطلق بالتعذيب الجسدي والنيل من الضحيّة واستنزاف قدرتها على التحمّل والصبر وهو ما يقرّه القول الآتي:"تتالت الأيّام في زنزانتي يريدون كسر إرادتي، وحرق صبري، وإفراغ روحي من الشعور بالأمل، لكنّني فهمت أنّ أوّل الطريق للنيل منّي هو نجاحهم في ما يخطّطون له."(الحدادي، 2021، ص 118) ويبلغ هذا التعذيب الجانب النفسي ويصل أخيراً إلى مرحلة الابتزاز والمساومة.

خاتمة

ما يمكن استخلاصه في خاتمة هذا البحث أنّ الجسد شكّل عقبة في طريق السلطة لذلك كان جسد المعتقل غالبًا هدفها وغايتها فتتفنّن في تعذيبه، منتهجة في ذلك أكثر الوسائل قسوة وإيلامًا فضلا عن الزجّ به في فضاء مغلق معادٍ لا يعدو أن يكون في حقيقة الأمر سوى الوجه الحقيقيّ للسلطة التي تعتقد أنّ في امتلاكها لأجساد معارضيها وتطويعها قد استلبت أفكارهم وامتلكتها. وإنّ هذا الانتهاك الذي يلقاه الجسد المعتقل يؤكّد أنّ الجسد المعارض سلطة في حدّ ذاته وإلّا لما كانت السلطة السياسيّة تسعى إلى اعتقاله وتصفيته إن أصبح وجوده يهدّد استمراريّته؛ لذلك يمكننا القول إنّ رواية" **عشت مع الذئاب**" قدّمت صورة حيّة عن القمع السياسيّ الذي كانت تمارسه السلطة ولا تزال على المساجين السياسيّين أو مساجين الرأي؛ وذلك بالكشف عن الجوانب الخفيّة لممارسات السلطة وانتهاكاتها، وهي بذلك توثّق صلتها بالمرجع وتقتفي أثر الواقع السياسي وتأثيره في الكتابة الروائيّة من قبيل هيمنة تيمة القمع على أجواء الرواية.

وإنّ اللافت للانتباه في هذه الرواية أيضًا، توسّع الأفكار السياسيّة على حساب الجانب الفنّي والتركيز على الأفكار والقضايا على حساب الشكل؛ فضلا عن أنّ معالجة الحدّادي للقضايا السياسيّة بدت مباشرة وصريحة وهو ما جعلها تقترب من الشهادة أو المذكّرات؛ لذلك لا يجد القارئ عناء في فهم مغزى الرواية وهو ما يضعف في اعتقادنا الجانب الفنيّ فيها.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر

- الحدّادي، المنجي،(2021)، **عشت مع الذئاب**، تونس، دار زينب للنشر والتوزيع، 2021.

2- المراجع

2-1 المراجع العربية

- **أشهبون، عبد الملك**،(2009)، **عتبات الكتابة في الرواية العربيّة**، اللاذقيّة، دار الحوار.
- بحراوي، حسن، (1990)، **بنية الشكل الروائيّ**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- بلعبرية ، شيراز(2023)، **كتابة الجسد في الرواية العربية المعاصرة**، تونس، دار زينب للنشر والتوزيع.
- التواتي، مصطفى،(1993)، **دراسة روايات نجيب محفوظ الذهنيّة**، تونس، الدار التونسيّة للنشر، ط2.
- الجزار، محمد فكري،(1998)، **العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي**، القاهرة، الهيأة المصريّة العامّة للكتاب.
- حجازي، مصطفى،(2005)، **الإنسان المهدور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- حليفي، شعيب (2005)، **هويّة العلامات، في العتبات وبناء التأويل**، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- الروحي، سمر الفيصل،(1983) **السجن السياسي في الرواية العربيّة**، دمشق، منشورات الكتاب العربي.
- عبد العظيم، صالح سليمان(1998)، **سوسيولوجيا الرواية السياسيّة، يوسف العقيد أنموذجا**، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

- أبو عوف، عبد الرحمان(1999)، **القمع في الخطاب الروائيّ**، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان.
- لوبريطون، دافيد (2014) **سوسيولوجيا الجسد**، ترجمة عياد أبلال وإدريس المحمدي، القاهرة، روافد للنشر والتوزيع.
- لوبريطون، دافيد Breton David Le(2017)، تجربة **الألم بين التحطيم والانبعاث**، ترجمة، فريد الزاهي. دار توبقال للنشر.
- محفوظ، عبد اللطيف(2009)، **وظيفة الوصف في الرواية**، بيروت– الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
- ابن منظور، أبو الفضل (2008) **لسان العرب**، ضبط وتعليق، خالد رشيد القاضي، ج10، الجزائر، دار الأبحاث.
- نيتشه، فريديريك (2007)، **هكذا تكلم زرادشت**، ترجمة علي مصباح، بغداد، دار الجمل.

• المقالات

- أشهبون، عبد الملك، **خطاب المقدّمات في الرواية العربيّة (التنوّع والتشكّل والوظائف الفنيّة)، عالم الفكر**، العدد2، المجلّد 33، أكتوبر– ديسمبر 2004.
- جميل حمداوي، **الرواية السياسيّة والتخييل السياسي**، موقع على الانترنت https://www.diwanalarab.com/ تمّت زيارة الموقع بتاريخ 2 سبتمبر 2023.

- **رومنة المراجع**

- alḥddādy, al-Munjī, (2021), ‘Ishtu ma‘a al-dhi’āb, Tūnis, Dār Zaynab lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 2021
- Ashhabūn, ‘Abd al-Malik, (2009), ‘Atabāt al-kitābah fī al-riwāyah al-‘Arabīyah, Ṭ1, allādhqyyh, Dār al-Ḥiwār
- Baḥrāwī, Ḥasan, (1990), Binyat al-shakl alrwā’ī, al-Dār al-Bayḍā’, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī.
- bl‘bryh, Shīrāz (2023), kitābat al-jasad fī al-riwāyah al-‘Arabīyah al-mu‘āṣirah, Tūnis, Dār Zaynab lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Ṭ1
- al-Tawātī, Muṣṭafá, (1993), dirāsah Riwāyāt Najīb Maḥfūẓ aldhhnyyh, Tūnis, al-Dār altwnsyyh lil-Nashr, ṭ2
- al-Jazzār, Muḥammad Fikrī, (1998), al-‘Unwān wa-simyūṭīqā al-ittiṣāl al-Adabī, al-Qāhirah, al-hay’ah almṣryyh al‘āmmh lil-Kitāb
- Ḥijāzī, Muṣṭafá, (2005), al-insān al-mahdūr, dirāsah taḥlīlīyah nafsīyah ijtimā‘īyah, al-Dār al-Bayḍā’, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, Ṭ1.
- Ḥalīfī, Shu‘ayb (2005), hwyyh al-‘alāmāt, fī al-‘atabāt wa-binā’ al-ta’wīl, al-Dār al-Bayḍā’, Dār al-Thaqāfah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Ṭ1.
- al-rūḥī, Samar al-Fayṣal, (1983) al-sijn al-siyāsī fī al-riwāyah al-‘Arabīyah, Dimashq, Manshūrāt al-Kitāb al-‘Arabī.
- ‘Abd al-‘Aẓīm, Ṣāliḥ Sulaymān (1998), Sūsiyūlūjiyā al-riwāyah alsyāsyyh, Yūsuf al-‘Aqīd anmūdhajan, al-Qāhirah, al-Hay’ah almṣryyh al‘āmmh lil-Kitāb
- Abū ‘Awf, ‘Abd al-Raḥmān (1999), al-qam‘ fī al-khiṭāb alrwā’ī, al-Qāhirah, Markaz al-Qāhirah li-Dirāsāt Ḥuqūq al-insān
- lwbryṭwn, Dāvīd (2014) Sūsiyūlūjiyā al-jasad, tarjamat ‘Ayyād Abilāl wa-Idrīs al-Muḥammadī, al-Qāhirah, Rawāfid lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Ṭ1
- (2017), tajribat al-alam bayna al-Taḥṭīm wa-al-inbi‘āth, tarjamat, Farīd al-Zāhī, al-Dār al-Bayḍā’, al-Maghrib, Dār Tūbqāl lil-Nashr
- Maḥfūẓ, ‘Abd al-Laṭīf (2009), Waẓīfat al-waṣf fī al-riwāyah, byrwt-al-Jazā’ir, al-

Dār al-‘Arabīyah lil-‘Ulūm Nāshirūn, Manshūrāt al-Ikhtilāf, Ṭ1.
- - Ibn manẓūr, Abū al-Faḍl (2008) Lisān al-‘Arab, ḍabṭ wa-ta‘līq, Khālid Rashīd al-Qāḍī, j10, al-Jazā’ir, Dār al-Abḥāth
- Nītshih, frydyryk (2007), Hākadhā takallama Zarādasht, tarjamat ‘Alī Miṣbāḥ, Baghdād, Dār al-Jamal
- Ashhabūn, ‘Abd al-Malik, Khaṭṭāb almqddmāt fī al-riwāyah al-‘Arabīyah (altnww‘ wāltshkkl wa-al-waẓā’if al-Fannīyah), ‘Ālam al-Fikr, al‘dd2, almjlld 33, aktwbr-Dīsimbir 2004
-Jamīl Ḥamdāwī, al-riwāyah alsyāsyyh wa-al-takhyīl al-siyāsī, Mawqi‘ ‘alá al-Intarnit https : / / www. diwanalarab. com / tmmt ziyārat al-mawqi‘ bi-tārīkh 2 Sibtambir 2023.

2-2 المراجع الأجنبيّة

- Chebili (Saïd), *corps et politique* : Foucault et Agamben, l’information psychique, 2009
- Foucault (Michel),*Surveiller et punir, naissance de la prison* , Paris, Gallimard, 1975
- Histoire de la sexualité, T1, la volanté de savoir, Paris, éd Gallimard, 1976
- Hoek(Léo), *Marque du titre*, Paris, Mouton, 1981
- Mitterrand,(Henri) , *le discours du roman*, France (écriture) éd P.U.F, 1986,
- Dictionnaire philosophique, Moscou, éd du progrès, 1985
- Chebili (Saïd), *corps et politique* : Foucault et Agamben, l’informationpsychique, 2009
- Foucault (Michel), *Surveiller et punir, naissance de la prison*, Paris, Gallimard, 1975
- Histoire de la sexualité, T1, la volanté de savoir, Paris, éd Gallimard, 1976
- Hoek(Léo), *Marque du titre*, Paris, Mouton, 1981
- Mitterrand,(Henri) , *le discours du roman*, France (écriture) éd P.U.F, 1986,

- Dictionnaire philosophique, Moscou, éd du progrès, 1985